إعجاز للبحث والتأمل العلمي EAJAZ
International Journal of Research and Scientific Meditation

ضوابط علوم الإعجاز:

الأستاذ الدكتور زغلول راغب محمد النجار
جامعة العلوم الإسلامية العالمية-عمان-الأردن

ملخص:

{إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ*}، {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ*}، تؤكد هاتان الآيتان القرآنيتان على ضرورة الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وذلك لأن التعبير القرآني (ذكر للعالمين) لا بد وأن يكون باللغة التي يفهمها جميع أهل الأرض. واللغة الوحيدة التي يفهمها كل الناس اليوم هي لغة العلم.

والتعبير القرآني (ولتعلمن نبأه بعد حين) معناه أن جميع أهل الأرض سوف يعلمون صدق ما جاء به القرآن الكريم من أخبار، وتعبير (بعد حين) معناه بعد فترة من الزمن من تنزل الوحي بهذا الكتاب العزيز.

وعلى ذلك فإن من معاني هاتين الآيتين الكريمتين هو أن صدق القرآن الكريم فيما أخبر به من أمور الغيب ومن ركائز الدين سوف يثبت لأهل الأرض جميعا بعد فترة من الزمن على نزول الوحي به. وانطلاقا من ذلك فإن هاتين الآيتين تثبتان حتمية الاهتمام بقضية الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

كلمات مفتاحية:

ضوابط، علوم الإعجاز، تفسير الآيات العلمية

Abstract:

After These two Quranic verses emphasize the importance of applying the scientific facts in interpreting cosmic verses in the Glorious Quran. Such practice can prove the qur'anic precedence by a large number of scientific facts, long before man could reach any of such facts, and at a time when the needed tools for such discoveries were not available. This precedence is collectively included under the title "The Scientific Inimitability of The Glorious Quran" which is currently highly needed for both interpreting and translating the correct meaning of the cosmic Quranic verses. It is obvious from both the quoted verses that the Glorious Quran is a reminder for all the worlds, and the only language that can be understood by everybody is the scientific language. This fact is substantiated by the second verse which states that everyone on earth shall know the truthfulness of the Glorious Quran after the completeness of its revelation. This can mainly be accomplished by proving the scientific precision of the Glorious Quran, which has to be accomplished through a definite set of 22 controlling factors summarized in this paper.

Keywords :

Glorious Quran, Controlling factors, The scientific facts in interpreting verses.

©.The International Journal of Research and Scientific Meditation

على الرغم من وضوح الأمر الإلهي في هاتين الآيتين الكريمتين ومن أمثالها من آيات هذا الكتاب العزيز، فإن عددا من المتغربين من أبناء المسلمين حاولوا التطاول على هذا المنهج بغير حق وبغير دليل، ظنا منهم أن العملية تتم بغير ضوابط علمية وشرعية صحيحة. وللرد على هذه المزاعم الباطلة نورد عددا من الضوابط الموضوعة للتعامل مع هذه القضية في النقاط التالية:

1- حسن فهم النص القرآني الكريم وفق دلالات الألفاظ في اللغة العربية، ووفق قواعد تلك اللغة، وأساليب التعبير فيها. وذلك لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين، على ألا يخرج الدارس باللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية، وعند الضرورة القصوى، ومن هنا فلا يمكن إثبات الإعجاز العلمي بتأويل النص القرآني.

2- فهم أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ - إن وُجِدَا - وفهم الفرق بين العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل من آيات هذا الكتاب الحكيم.

3- فهم المأثور من تفسير المصطفى - صلى الله عليه وسلم - والرجوع إلى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى الزمن الحاضر.

4- جمع القراءات الصحيحة المتعلقة بالآية القرآنية الكريمة إن وجدت.

5- جمع النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد ورد بعضها إلى بعض، بمعنى فهم دلالة كلٍ منها في ضوء الآخر؛ لأن القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، كما يفسره الصحيح من أقوال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولذلك كان من الواجب توظيف الصحيح من الأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بموضوع الآية المتعامل معها كلما توافر ذلك.

6- مراعاة السياق القرآني للآية المتعلقة بإحدى القضايا الكونية دون اجتزاء للنص عما قبله وعما بعده، مع التسليم بأن من طبيعة القرآن الكريم إيراد العديد من الحقائق المتتابعة والتي قد لا تكون بالضرورة مرتبطة ببعضها البعض كما هو الحال في آيات القسم المتعدد بأكثر من أمر من الأمور.

7- مراعاة قاعدة أن العبرة هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والاقتصار على القضية الواحدة في المقام الواحد دون تكديس الآيات المستشهد بها حتى يتضح جانب الإعجاز العلمي في كل منها.

8- عدم التكلف أو محاولة لَيِّ أعناق الآيات من أجل موافقتها للحقيقة العلمية ؛ وذلك لأن القرآن الكريم أعز علينا وأكرم من ذلك؛ لأنه كلام الله الخالق، وعلم الخالق بخلقه هو الحق المطلق، الكامل، الشامل، المحيط بكل علم آخر ، وهو العلم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

©.The International Journal of Research and Scientific Meditation

9- الحرص على عدم الدخول في التفاصيل العلمية الدقيقة التي لا تخدم قضية الإعجاز العلمي للآية أو الآيات القرآنية الكريمة، من مثل المعادلات الرياضية المعقدة، والرموز الكيميائية الدقيقة إلا في أضيق الحدود اللازمة لإثبات وجه الإعجاز.

10- عدم الخوض في القضايا الغيبية غيبة مطلقة، كالذات الإلهية والروح، والملائكة، والجن، وحياة البرزخ، وحساب القبر، وقيام الساعة، والبعث والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار وغيرها، والتسليم بالنصوص الواردة فيها تسليماً كاملاً انطلاقاً من الإيمان بكتاب الله ـ تعالى ـ وبسنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويقيناً راسخاً بعجز الإنسان عن الوصول إلى مثل هذه الغيبيات المطلقة.

11- التأكيد على أن الآخرة لها من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا مغايرة كاملة، وأنها لا تحتاج هذه السنن الدنيوية الرتيبة، فهي كما وصفها ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أمر فجائي منه (بكن فيكون)، وصدق الله العظيم إذ يقول: { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ** } (الأعراف:187).

وعلى الرغم من ذلك فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ من رحمته بنا أبقى لنا في صخور الأرض وفى صفحة السماء أعداداً كثيرة من الشواهد الحسية التي تقطع بضرورة فناء الكون وبحتمية الآخرة، وأن الإشارة إلى تلك الشواهد الكونية لا يمكن أن تفسر بمحاولة التعرف على موعد الآخرة؛ لأن الآخرة من الغيبيات المطلقة التي لا يعلمها إلا الله؛ ولأنها لن تتم بالسنن الكونية المشاهدة في هذه الحياة.

12- توظيف الحقائق العلمية القاطعة في الاستشهاد على الإعجاز العلمي للآية، أو الآيات القرآنية الواردة في الموضوع الواحد، أو في عدد من الموضوعات المتكاملة، وذلك في جميع الآيات الكونية الواردة في كتاب الله فيما عدا قضايا الخلق والإفناء، والبعث، والتي يمكن فيها توظيف الآية أو الآيات القرآنية الكريمة أو الحديث النبوي الشريف المرفوع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ للارتقاء بإحدى النظريات المطروحة إلى مقام الحقيقة، مع التأكيد على أن الحقيقة العلمية لا تبطل مع الزمن، ولكنها قد تزداد تفصيلاً وتوضيحاً باجتهاد العلماء جيلاً بعد جيل، وأن المعرفة العلمية إذا وصلت إلى مستوى الحقيقة أو القانون فهي لا تتغير، ولكنها قد تزداد إيضاحاً مع الزمن؛ وذلك لأن حقائق العلوم المكتسبة جزئية، وقوانينه كذلك جزئية؛ لأنها تعبر عن جزئية محددة. ومن طبيعة العلوم المكتسبة أنها تنمو نمواً مُطردا مع استمرار مجاهدة العلماء في توضيح ما سبقت معرفته من حقائق دون إلغائها.

13- ضرورة التميز بين المحقق لدلالة النص القرآني والناقل له مع مراعاة التخصص الدقيق في مراحل إثبات وجه الإعجاز العلمي في الآية القرآنية الكريمة ـ التحقيق العلمي ـ لأن هذا مجال تخصصيٌّ في أعلى مراحل التخصص، لا يجوز أن يخوض فيه كل خائض، كما لا يمكن لفرد واحد أن يغطي كل جوانب الإعجاز العلمي في أكثر من ألف آية قرآنية صريحة بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقترب دلالتها

©.The International Journal of Research and Scientific Meditation

من الصراحة، خاصة أن هذه الآيات تغطي مساحة هائلة من العلوم المكتسبة تمتد من علم الأجنة إلى علم الفلك وما بينهما من مختلف مجالات العلوم والمعارف، ومن هنا كان من الواجب رد كل قضية إلى محققها من المتخصصين بوضوح وإثبات كاملين.

14-التأكيد على أن ما توصل إليه المحقق العلمي في فهم دلالة الآية الكريمة ليس منتهى الفهم لها؛ لأن القرآن الكريم لا تنتهي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد.

15- اليقين بأن النص القرآني الكريم قد ينطبق على حقيقة علمية ثابتة، ولكن ذلك لا ينفي مجازاً مقصوداً، كما أن الآية القرآنية الكريمة قد تأتي في مقام التشبيه أو المجاز، وتبقى صياغة الآية دقيقة دقة مطلقة من الناحية العلمية، وإن لم تكن هذه الناحية مقصودة لذاتها؛ لأن كلام الله الخالق هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

16- الأخذ في الاعتبار إمكانية الانطلاق من الآية القرآنية الكريمة للوصول إلى حقيقة كونية لم يتوصل العلم المكتسب إلى شيء منها بعد، وذلك انطلاقاً من الإيمان الكامل بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق الذي حفظه لنا بطلاقة قدرته على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية في صفائه الرباني وإشراقاته النورانية وتعهده ـ سبحانه وتعالى ـ بهذا الحفظ تعهداً مطلقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو وعى المسلمون هذه الحقيقة لسبقوا غيرهم من الأمم في الوصول إلى العديد من حقائق الوجود، وعلى الرغم من تخلف المسلمين المعاصر فإن الباب لا يزال مفتوحاً أمامهم ليتسابق إليه المتسابقون من أهل العلم في كل مجال.

17- عدم التقليل من جهود العلماء السابقين في محاولاتهم المخلصة لفهم دلالة تلك الآيات الكونية في حدود المعلومات التي كانت متاحة لهم في زمانهم؛ وذلك لأن الآية الكونية الواردة في كتاب الله تتسع دلالتها مع اتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التضاد حتى يظل القرآن الكريم مهيمناً على المعارف الإنسانية مهما اتسعت دوائرها، وهذا من أعظم جوانب الإعجاز في كتاب الله.

18- ضرورة التفريق بين قضيتي " الإعجاز العلمي" و"التفسير العلمي" للقرآن الكريم، فالإعجاز العلمي يقصد به "إثبات سبق القرآن الكريم" بالإشارة إلى حقيقة من حقائق الكون، أو تفسير ظاهرة من ظواهره قبل وصول العلم المكتسب إليها بعدد متطاول من القرون، وفى زمن لم يكن لأي من البشر إمكانية الوصول إلى تلك الحقيقة عن طريق العلوم المكتسبة أبداً، وأما التفسير فهو محاولة بشرية لحسن فهم دلالة الآية القرآنية، إن أصاب فيها المفسر فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد، والمعول عليه في ذلك هو نيته.

19- وهنا يجب التأكيد على أن الخطأ في التفسير ينسحب على المفسر، ولا يمس جلال القرآن الكريم. وانطلاقاً من ذلك فلا بد من الحرص على توظيف الحقائق العلمية القاطعة المتاحة والتي لا رجعة فيها في كلٍ من القضيتين، ولكن لما كانت العلوم المكتسبة لم تصل بعد إلى الحقيقة في كثير من الأمور فإني لا أرى حرجاً من توظيف النظريات السائدة، المقبولة، المنطقية في التفسير العلمي للقرآن الكريم، أما "الإعجاز العلمي" لهذا الكتاب العزيز فلا يجوز أن يوظف فيه إلى القطعي الثابت من الحقائق العلمية التي لا رجعة فيها،

©.The International Journal of Research and Scientific Meditation

وذلك في جميع القضايا الوصفية. أما القضايا المتعلقة بالخلق والإفناء والبعث لكلٍ من الكون والحياة والإنسان فبما أنها لا تخضع لإدراكنا المباشر، فيجتهد العلماء في وضع عدد من النظريات لتفسيرها، وتتعدد النظريات بتعدد خلفية واضعيها، ويبقى للمسلم نور من الله ـ تعالى ـ في آية قرآنية كريمة أوفي حديث نبوي مرفوع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يمكن أن يعين العالم المسلم على الارتقاء بإحدى هذه النظريات إلى مقام الحقيقة، لا لأن العلوم المكتسبة قد وصلت فيها إلى الحقيقة، ولكن لمجرد وجود إشارة لها في كتاب الله أوفي أقوال خاتم أنبيائه ورسله ـ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

20- اليقين في صحة كل ما جاء بالقرآن المجيد؛ لأنه كلام الله الخالق، المحفوظ بحفظ الله على مدى الأربعة عشر قرناً الماضية، والمحفوظ في نفس لغة وحيه ـ اللغة العربية ـ فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى ذلك فلا يمكن لحقيقة كونية أن تصطدم بنص قرآني أبداً؛ لأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، والكون صنعته وإبداعه وخلقه، ولكن إذا بدا شيء من ذلك فلابد من وجود خلل ما، إما في صياغة الحقيقة العلمية، أوفي فهم الدارسين لدلالة النص القرآني.

21- يجب تحري الدقة المتناهية في التعامل مع كتاب الله، وإخلاص النية في ذلك، والتجرد له من كل غاية شخصية أو مكاسب مادية، كما يجب على المشتغلين بدراسة القرآن الكريم أن يتذكروا قول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :« *من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده في النار* ».

وعلى كل من يدخل إلى هذا المجال العلمي الدقيق أن يلتزم بهذه الضوابط، وإلا فإنه لن يتمكن من تحقيق أوجه الإعجاز العلمي في كتاب الله، وهو اللغة الوحيدة التي يفهمها أهل عصرنا. ومع الالتزام بهذه الضوابط فلا بد من تكامل المعرفة لكل من يريد الخوض في هذا المجال فإن كانت خلفيته علمية فلا بد من استكمالها بالدراسات الشرعية واللغوية اللازمة لفهم القرآن الكريم وإن كانت خلفيته شرعية فلا بد من استكمالها بمعرفة المعطيات الكلية للمعارف العلمية عند آخر ما وصلت إليه في زمانه، وأن يستشير عددا من المختصين في تحقيق فهمه للآية الكريمة. وذلك ضروري في التعامل مع هذه القضية الحساسة حتى لا ندع مجالا للمتربصين بالقرآن وأهله، ولنتذكر جيدا قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « *من قال في القرآن برأيه (أي بهواه) فليتبوأ مقعده من النار*».

المراجع

حديث: " من قال في القرآن برأيه (أي بهواه) فليتبوأ مقعده من النار" آخر جه النسائي في (فضائل *القرآن* 109/110)، والترمذي (2951)، وأحمد في (المسند، 206)

©.The International Journal of Research and Scientific Meditation